ALMAWROUTH

A REFEREED QUARTERLY JOURNAL CONTROVERSIES IN THE FOLKLORE BY SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE Ninth year - Issue - 40 - DEC . 2025



الحناء.. الحرفة الإماراتية التي ظلت تتحدى الزمن ولم تتخل عنها العرائس والأفراح.

الشارقة عاصمة عالمية للكتاب 2019 SHARJAH WORLD BOOK CAPITAL

السعر 15 درهماً إماراتياً

unesco Centre Under the auspices of UNESCO

معهد الشارقة للتراث SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

معهد الشارقة للتراث Sharjah Institute For Heritage Publications

مجلة فصلية محكّمة تعنى بالتراث الثقافي تصدر عن معهد الشارقة للتراث السنة التاسعة - العدد - 40 - ديسمبر 2025

A REFEREED QUARTERLY JOURNAL CONTROVERSIES IN THE FOLKLORE BY SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE Ninth year - Issue - 40 - DEC . 2025

40

المأثور ALMAWROUTH 40

عدد خاص

الشيخ زايد بطلاً قومياً شعبياً

تمثيلات الطير في البيوت التونسية التقليدية

الطقوس الجنائزية في الدراسات العربية

الطيور في كتاب "على أجنحة الطير"

مجلــة فصليــة محكّمــة
تعنى بالتـراث الثقـافي
تصدر عن معهد الشارقة للتراث
السنة التاسعة - العدد - 40 - ديسمبر 2025



الدراسات

المقاربات

الترجمة

عروض الكتب

عروض الكتب:



- الإبل والتراث من خلال: كتاب المغرب المجهول لأوجست موليراس
محمد ناسمي



الإبل والتراث من خلال: كتاب المغرب المجهول لأوجست موليراس

محمد ناسمي*

Camels and Heritage, from the perspective of Auguste Mouliéras's «The Unknown Morocco»

Mohamed Nasmi

* باحث في سلك الدكتوراه، جامعة السلطان مولاي سليمان – بني ملال – المغرب

Abstract :

This book falls within the category of books that attempted to explore Morocco before the colonial era, and the colonial objectives it contains within its pages, it is also one of the valuable books of utmost importance for becoming familiar with Morocco and Moroccan society in the late nineteenth century, that is, more than a century ago today. Most importantly, the book contains a huge and diverse ethnographic material that documented multiple aspects of Moroccan heritage, including the subject of this article: camels in relation to the Moroccan heritage.

Keywords: Camels – Heritage - unknown Morocco - Auguste Mouliéras – Morocco.

الملخص:

هـذا الكتـاب وإن كان يدخـل ضمـن الكتـب، التي حاولت استكشـاف المغـرب قبـل مرحلة الاسـتعمار، ورغم الأهـداف الاسـتعمارية التي يتضمنها بين صفحاتـه؛ إلا أنه من الكتـب القيمة، التي لها أهميـة قصوى للتعرف عـلى المغـرب والمجتمـع المغربي في أواخر القرن التاسـع عـشر، أي قبل أكثر مـن قرن من اليـوم، والأهم أكثر؛ أنـه يتضمن مـادة إثنوغرافية ضخمـة ومتنوعة، وثّقـت لجوانب متعددة مـن التراث المغـربي، ومنها موضوع هـذا المقال؛ الإبـل في علاقتها بالـتراث المغربي.

الكلمات المفتاحية: الإبل – التراث – المغرب المجهول – أوغست موليراس – المغرب.

تقديم:

حاولت فرنسا بعد تجربتها في الجزائر، تجاوز الطرق التقليدية العسكرية، ذات التكلفة الباهظة، وتعويضها بطرق أكثر ليونة وسلاسة في تغلغلها الاستعماري بالمغرب، عبر التركيز على استكشاف المغرب جغرافيّاً، وتاريخيّاً، وسوسيولوجيّاً، وثقافيّاً... وحتى يتأتى تحقيق هذا الهدف؛ حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية تجنيد عدد من الرحالة والمبشرين والباحثين، للقيام بأبحاث ودراسات سوسيولوجية وأنثروبولوجية، كانت في بداياتها الأولى ذات طابع وصفي تقريري.

ويعدّ كتاب «المغرب المجهول» لأوجست موليراس، من أهم الأعمال التي أُنجزت خلال هذه المرحلة، ورغم النفحات الاستعمارية التي يتضمنها بين طياته، إلا أنه يبقى عملاً مميزاً، كونه تقريراً مفصلاً ضمّ معلومات ضخمة ومتنوعة عن مناطق الشمال المغربي في أواخر القرن التاسع عشر، خاصة ما يتعلق منها بالتراث، ومن المواضيع التي نالت نصيبها في هذا الكتاب؛ الإبل في علاقتها بالتراث.

من هو أوجست موليراس؟

أوجست موليراس Auguste Mouliéras هو مبشر وأنثروبولوجي فرنسي، ولد سنة 1855 في مدينة تلمسان الجزائرية، من إحدى الأسر الفرنسية التي استقرت في الجزائر أيام الاستعمار، شغل قيد حياته منصب أستاذ للغة العربية في السلك الثانوي والجامعة بمدينة وهران، مكّنه العيش والاشتغال في الجزائر المستعمَرة الفرنسية آنذاك، وإتقانه للغة العربية الفصحى واللهجات المحلية؛ في تحفيزه لاكتشاف ما وراء الحدود الغربية للجزائر، حيث يوجد المغرب، هذا البلد الذي كان يرى موليراس أنه رغم ما كُتب عنه، ما زال مجهولاً بالنسبة للأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، وهو ما أكده في مقدمة كتابه بقوله: «ونحن نعلم بأن المغرب ما زال إلى حدود اليوم، أرضاً مجهولةً تقريباً، وعلى الرغم مما يذكره واضعو الخرائط والجغرافيون الجيدون الذين ينقل بعضهم عن البعض الآخر دون نقد ولا انشغال بالحقيقة، فإننا نستطيع التأكيد بأننا لا نعرف ولو جزءاً واحداً من الألف، من هذه الإمبراطورية الشريفة»[1].





اللغة العربية ولهجاتها مفتاح اكتشاف بلاد المغرب

أرجع أوجست موليراس سبب جهل الأوروبيين بالمغرب، إلى جهل الباحثين والمستكشفين الأوروبيين بالدرجة الأولى للغة العربية الفصحى، واللهجات المحلية، حيث قال: «إن السفر إلى بلد نجهل لغته، معناه السفر مثل الأصم- الأبكم، فما هي المعلومات والمعارف التي يمكن أن يجنيها مكتشف يجوب البلاد دون التمكن من التفاهم مع السكان؟ إنه لن يستطيع أبداً تمحيص ما يراه ولا ضبط القليل مما يقال له. فإلى جانب بعض الحقائق التي سينقلها، ستكون هناك مفاهيم خاطئة وأحكام مشبوهة، ولدينا عينات منها في الوثائق الحالية»[2]، ولتجنب الوقوع في الخطأ نفسه، والفشل في المهمات الاستكشافية المقبلة، خاطب موليراس في كتابه المغرب المجهول، الجزء الأول؛ الشباب الفرنسي الذي ينوي خوض مغامرة استكشاف المغرب، بقوله: «وأنتم أيها الفرنسيون الشباب المقبلون على السفر إلى المغرب، عليكم أن تستحضروا دائماً هذه الحقيقة التي تم تجاهلها لمدة طويلة: وهي أن كل المكتشفين الأوروبيين قد فشلوا وسيفشلون في العالم الإسلامي، بسبب جهلهم للغة العربية»[3]. فلاختراق المغرب واكتشاف أبعد زواياه وأركانه، يجب على «كل أوروبي راغب في المغامرة داخل هذا البلد [المغرب]، التسلح بعلمين يشكلان في الحقيقة علماً واحداً: يجب عليه معرفة العربية الكلاسيكية بشكل لا بأس به، ومعرفة الدارجة بشكل جيد، وهذا الشرط الوحيد»[4]، هكذا تبدو أهمية اللغة العربية، بالنسبة لأوجست موليراس، الذي خبرها بالتدريس، وخبر العيش في كنفها بين أحضان بلد عربي هو الجزائر، حيث رأى أن معرفة اللغة العربية وحدها توازي معرفة أكثر من عشرين لغة، وهي اللغة التي أبهرته بمحاسنها، وجمالها، وسعتها، وغنى معجمها، وإعجازها، ويقول في ذلك: «فدراسة الأدب العربي تعتبر من الأمور الصعبة، إلى درجة أن الشيوخ المتفقهين في

اللغـة، يعترفـون صراحـة بعجزهـم عـن مسـايرة العـدد الكبـير من الألفـاظ الجديدة، التي يلقونهـا في كل صفحة، ويضاف غيـاب الحركات وعلامـات الوقف وغيـاب الكتابة بحـروف كبـيرة majuscules إلى الغنـى المعجمـي لهـذه اللغـة، وهـو الغنى الـذي يتجـاوز كل مـا يمكـن للمخيلة الأكـثر عطـاءً أن تحلـم به، فنحـن نصاب بالـدوار أمام 12 مليـون و305 آلاف و412 كلمـة؛ التـي يشـملها القاموس العـربي، كـما أن المترادفات لا تحد ولا تحـصى تقريبا [...] ولا يقـف الأمر عند هذا الحد، إذ تصل صعوبة هذه الدراسـة إلى ذروتهـا، عبر تضمن كل كلمة لمعـانٍ عديدة ومتناقضة، وكأن عبقريـة جهنمية وجـدت متعتها في جعـل هذه اللغة عبـارة عـن لغم أبـدي»[5]، أمـا لمن يريـد التحدث بهـا، فقد اقـترح عليـه موليـيراس «ضرورة تليـين الحنجـرة للتعود عـلى النطق الخشـن، الـذي لا تعـرف عنه لغتنـا الأوروبية شـيئاً، لذلـك كلـه، يمكننا تصـور المجهود الـذي يجب بذله للتكلـم بالعربية مثل العـربي، وليس غريبـاً أن نرى القليل مـن الأوروبيـين فقـط، ممـن يسـتطيعون التحـدث بأكثر اللهجات إثـارة للإحبـاط وكتابتها بشـكل ملائم»[6].

ولأن اللغـة العربيـة أضفى عليها الإسـلام صبغة القداسـة، بوصفهـا لغـة القـرآن الكريـم والحديث النبـوي الشريف، وتُقـام بهـا العبـادات والشـعائر الدينية الإسـلامية؛ نصح موليـيراس الباحثـين الذيـن ينـوون دراسـة واستكشـاف المغـرب، إلى جانـب تعلـم اللغـة العربيـة، تعلـم «القـرآن الكريـم برمتـه تقريبـاً، وحفظـه عن ظهـر قلـب وقراءته وفـق قواعد ثابتة، مـع الالتـزام بالنبرة العربيـة الخالصة، ويجـب على المـرء أن يكـون عـلى درايـة بالسـنة النبوية، وأخبـار الصحابة، وأن يلقي بالمسـاجد عروضـاً أدبية حول الأولوهيـة والأنبيـاء وصلحـاء الإسـلام، الذيـن لا يحدهـم إحصـاء، ومعرفة عناصر من التشريع الإسـلامي على الأقل، وإمامـة الناس في المسـاجد، والمشـاركة في الجنائز وقراءة بعـض الآيـات القرآنيـة بمعيـة الفقهـاء الآخريـن، وأيضـاً بعـض الأمـداح النبويـة التي لهـا قيمتهـا بالبلـد، ويمكن



لهـذه الأمور أن تشـغل أكثر الأوروبيـين موهبة، مدة خمس عـشرة سـنة تقريبـاً، دون أن يضيـع ولو دقيقـة واحدة».

بعدها سينتقل أوجسـت موليـيراس لتوضيح أهمية توظيف اللغـة العربية، بالنسـبة للتغلغل الاسـتعماري الفرنسي في الـدول العربيـة والإسـلامية بقولـه: «فإنني أسـمح لنفسي بالإفصـاح عـن أمنيـة تتعلـق بالدراسـات العربيـة، التـي عرفـت الإهـمال بفرنسـا وبالجزائر، فلتقـدم الدولـة مـن أجلهـا أكـبر التضحيـات، لأننا سنكسـب عـن طريقها حب العـرب والمسـلمين في العـالم أجمع، وسـنتعرف على نمط تفكـير المجتمع المحمـدي وعـلى رغباته، لأن مسـاعدة هذا المجتمـع لنا، تعتـبر بالغة الأهميـة، ولنطبق وصية رسـول الإسـلام إلى أتباعـه، والتي جـاء فيها: من تعلم لسـان قوم أمـن مكرهـم»، حيـث اعتـبر أن المعرفـة الجيـدة بالعربية كافيـة لاحتـلال المغـرب مثـلاً، ولهـذا كان يقف مسـتغرباً من سياسـة الدولة الفرنسـية الاسـتعمارية، التـي عبر عنها بقولـه: «ألم نفهـم بعـد في فرنسـا، بـأن عـلى كل ممثلينا بالمغـرب وبالبلـدان العربيـة الأخـرى، أن يكونـوا معربين بشـكل كبـير، يتكلمـون ويكتبون جيـداً لغة الرسـول»[7].



كتاب المغرب المجهول

إن الجهـل ببـلاد المغـرب هـو الذي شـجع موليـيراس، في تأليـف كتابـه المغـرب المجهـول سـنة 1895 في جزأيـن، ولمـا كان مـن الصعب بـل ومن المسـتحيل دخولـه للمغرب كأوروبي وفرنـسي مسـيحي، لما ينطوي عـلى ذلك من عدة مخاطـر، قـد تؤدي بـه إلى فقـدان حياته؛ فكـر موليـيراس كثيراً، إلى أن وجد الحل المناسـب وذلك عن طريق اكتشـاف المغـرب وجعلـه معروفـاً مـن المغاربـة والرحالة المسـلمين أنفسـهم، حيـث قـام موليـيراس بجمـع معلومـات كتابـه مـن رحالـة قبايـلي، تجـول في المغـرب لأكـثر مـن اثنتين وعشرين سـنة؛ اسـمه محمـد بن طيـب، الـذي كان يذكره في كتابـه بلقـب «الدرويـش»، وأثنـى عليـه أكثر مـن مرة في كتابـه، بل ووصفه بالموسـوعة الحية لغـزارة المعلومات التـي أدلى بهـا لـه، وحتى يدقـق في معلومـات الدرويش؛ فـإن موليـيراس كان يغتنم فرصة وجـود الريفيين بوهران -للعمـل بالفلاحة- للتأكـد من صدق أقـوال الدرويش، عبر المقارنـة بـين مختلف الروايـات التـي يتلقاها[8].



محتويات كتاب المغرب المجهول:

ينقسم كتاب المغرب المجهول إلى جزأين؛ الجزء الأول بعنوان رئيسي هو «المغرب المجهول»، وعنوان فرعي هو «اكتشاف الريف»، وقد بدأ الكتاب بتقديم عام حول المغرب، ثم تحديد الدور الموكول لفرنسا في الشمال الغربي لإفريقيا، بعدها عمل أوجست موليراس على تقديم نصائح للباحثين الأوروبيين المقبلين على دراسة المغرب، ثم تقديم ملاحظات صوتية لمساعدة القارئ على النطق الصحيح للكلمات والمفردات المحلية في كتابه، بعدها سيقسم هذا الجزء حسب قبائل الريف المغربي. أما الجزء الثاني من الكتاب، فقد جاء كذلك بالعنوان الرئيسي «المغرب المجهول»، لكن بعنوان فرعي آخر، هو «اكتشاف جبالة»، وهو تتمة للجزء الأول، حيث يضم باقي قبائل الشمال المغربي، إضافة إلى بعض مدنه.

قبيلة المطالسة.. الجمل في البيئة القاحلة، وحضوره في الترحال وقطع الطريق

سيتحدث موليراس عن الإبل، في أول موضع من كتابه المغرب المجهول، في الجزء الأول، عند حلول الدرويش بقبيلة المطالسة، وذكر الإبل هنا لن يأتي اعتباطاً، ولكن نظراً لاختلاف جغرافية المنطقة عن باقي المناطق، التي سبق أن زارها الدرويش في الريف، وهو ما وصفه بقوله: «وها نحن لأول مرة، نحط الرحال عند أمازيغيين رحل، وسنغادر الجبل إلى السهل، حيث توجد صحراء حقيقية وهي صحراء الغاريت»[9]، وهو ما انعكس كذلك على الحيوانات التي يفضل السكان تربيتها وتلائم بيئتهم الطبيعية، حيث يظهر «أن الحيوانات الأليفة هنا تختلف عن حيوانات المناطق المتموجة والباردة بالريف، فالحمار والبغل اللذان ينفعان في الجبال، ينذران في الرمال الصحراوية، ويعوضهما الحصان والجمل، ففي الفضاءات المنبسطة والعارية، يجب التوفر على السرعة، إضافة إلى البساطة والبؤس»[10].

وإذا كانت الطبيعة القاحلة، قد فرضت على سكان قبيلة المطالسة حياة البداوة والترحال، فإن قلة الموارد إلى جانب انتشار الفقر؛ جعلت «أهالي المطالسة لصوصاً بارعين وقاطعي طرق متمرسين، وغالباً ما تحدث منازعات بينهم وبين عرب الدهرة، فإذا كانوا منتصرين، فإنهم ينهبون كل شيء ويبيدون الجميع»[11]، «وفي إحدى الأمسيات، انتبه محمد بن الطيب، الذي كان مقيماً بخيمة مضيفه، وسط دوار كبير، إلى مرور قافلة من 400 إلى 500 جمل، تبدو عند الأفق بمحاذاة الدهرة، وعلى الفور ركب 300 فارس مطالسي جيادهم، وأغاروا على القافلة؛ وبعد ساعتين رجعوا ومعهم القافلة برمتها، وكانت

مكونة من 500 جمل محملة بالصوف والتمر، يقودها حوالي خمسين فرداً من بني گيل، الذين تم نزع سلاحهم ودفعهم كأسرى مشياً على الأقدام أمام أعدائهم، وقد قتل في المعركة عنصران من المطالسة وآخران من بني گيل [...]، وقد تم تقسيم الجمال وحمولتها إلى خمسة أقسام، وزع كل واحد على قسم من القبيلة، وفي الغد جاء الأمازيغيون المجاورون للمطالسة وأصدقاؤهم، طالبين عقد الصلح، وقد قبل أهالي المطالسة بإطلاق سراح الأسرى، لكنهم رفضوا إرجاع الغنيمة، إذ كان الأمر يتعلق بانتقام من بني گيل، الذين سبق لهم سنوات من قبل، أن نهبوا قافلة مطالسية، كانت تعبرُ أراضيهم بطمأنينة»[12].

أهمية الجمل وتكريمه في قبيلة بني بويحيى

يمثل الجمل في حياة السكان أكثر من كونه مجرد حيوان مستأنس، بل هو أكثر من ذلك، لكونه يرتبط أشد الارتباط بحياتهم، ولهذا استأثر الجمل بعنايتهم خاصة، فعند حلول الدرويش بقبيلة بني بويحيى، سيستضيفه فرسان من قاطعي الطريق، الذين سيحتفون به بعدما ادعى لهم أنه عالم كبير، «وعند منتصف الليل خلد الجميع إلى النوم؛ وتم إدخال الدرويش إلى خيمة واسعة، قسمت إلى جزأين بواسطة العصا الطويلة التي تسندها، ففي جهة تنام الأسرة مجتمعة بصف طويل، سيشغل الدرويش أحد أطرافه، وفي جهة أخرى توجد الجياد التي كبلت أرجلها، والجمال المقرفصة التي شدت أرجلها بشكالة من الصوف، وبالساحة تحيط بها مائة خيمة بالدوار، توجد الخراف والماعز والأبقار التي تجتر بهدوء تحت ضوء النجوم»[13]، فأهمية الجمال إلى جانب الجياد بالنسبة لهؤلاء الفرسان، جعلتهم يتقاسمون معها خيمتهم، ومن جهة أخرى حرصاً عليها من السرقة أو الشرود في الصحراء، خاصة أنها تساعدهم وترتبط بها جميع أعمالهم اليومية وغاراتهم.

الجمل وطوبونيميا الريف

تعدّ الطوبونيميا العلم الذي يحاول دراسة أسماء الأماكن ودلالاتها ومعانيها، كما تعرف بأسماء أخرى مثل الأماكينية، أو علم الأعلام الجغرافية، وهي تلعب دوراً هاماً في المساعدة على استعادة ذاكرة المكان، وربطها بالإنسان والتاريخ والهُوية الثقافية، خاصة أن إطلاق الأسماء على الأماكن، لم يكن يوماً ما يأتي بطريقة اعتباطية، وإنما كان دائماً ينبع من أحداث وقعت، أو من وصف دقيق للإنسان المحلي لمجاله المعيش.

وفي كتاب المغرب المجهول، نجد عند ذكر اسم أي قبيلة، أو قرية، أو مدشر، أو حتى مدينة؛ حرص موليراس على الوقوف على أصل التسمية طوبونيمياً، ووضعها بين قوسين، وبالرجوع إلى أسماء الأماكن الواردة في كتاب المغرب المجهول، نجد أن الأسماء التي لها علاقة بالجمل، ذُكرت مرة واحدة في الجزء الأول من كتاب المغرب المجهول، عند ذكر إحدى قرى قبيلة بني يزناسن، التي توجد شرق المغرب وهي «العطش» [...]، [التي] توجد





بسهل جنوب شرق سوق الأحد، وهناك من يزعم بأن القرية تحمل هذا الاسم، لأن سكانها مختصون في صنع العطاطيش (مفردها عطوش وهو هودج يوضع على ظهر الجمال)[14]، وهكذا حضر الجمل في طوبونيميا المنطقة، بأهم وسيلة مرتبطة به، وهي الهودج.

تربية الإبل والسلوك الغذائي للسكان

في الجزء الثاني من كتاب المغرب المجهول، سيحضر الجمل عند حلول الدرويش محمد الطيب بقبيلة أولاد بكار، التي أول ما سيصفه عند الحلول بها؛ هو بيئتها الطبيعية «سنودع الآن الجبال المخضرة بالوسط والشمال، فهنا لا توجد سوى التلال العارية، القبيحة والمتكلسة بفعل أشعة الشمس الحارقة، وبقمم هذه التلال، توجد دواوير بئيسة تتعرض باستمرار لغزوات هوارة الدهرة، ولسوء الحظ فإن الأرض الجدباء لا تنتج شيئاً تقريباً»[15]. إن قساوة البيئة الطبيعية لقبيلة أولاد بكار وقلة الكلأ، سيساهم في ضعف قطعان الماشية ومنها الجمال، وهو ما سيشير إليه الدرويش بقوله: «لا تكفي الأعداد القليلة من الجمال والعجول والخرفان، لإشباع بطون هؤلاء البؤساء، لذلك فهم يبحثون باستمرار عن الحلزون والجراد الصحراوي الذي يتم شيه والتهامه بلذة، وكأنه منة سماوية»[16]. إن بؤس وفقر السكان وقلة وضعف قطعانهم، دفعهم إلى تلبية حاجاتهم الغذائية، عن طريق أكل الجراد والحلزون، كما تأتي الإشارة لتربية الجمل عند ذكر قبيلة الخلوط، حيث ستُوصف الثروة الحيوانية لهذه القبيلة، والتي تتميز بتربية الأغنام والماعز والأبقار،

بينما الجمال توجد بالسهول الرملية للقبيلة، وعند التقاء الدرويش بأحد سكان إمزاورو الأغنياء؛ وهو سي عبد السلام المصمودي، أحد المولعين بالسفر –الذي سيستمع باندهاش لمغامرات الدرويش في أسفاره– ثم سؤاله له عن طعام الصحراويين؛ أجابه الدرويش: «ونحن نبالغ حينما نقول إن الصحراويين يتناولون التمر فقط، فهم يأكلون أيضاً لحم الغزال اللذيذ والتيس والجمل، وأيضا لحم الضب المعروف بسحلية النخيل»[17].

تجارة القوافل

قامت التجارة في المغرب كغيره من الدول العربية على الإبل، والتي لعبت دوراً كبيراً في توفير البضائع المتنوعة، وربط المبادلات التجارية بين المناطق المختلفة، سواء داخل المغرب أو خارجه، وقد ذكر كتاب المغرب المجهول تجارة القوافل في عدة مواضع، لعل أهمها ما وصفه الدرويش محمد بن الطيب، عند وصوله لمدينة طنجة: «ففي كل يوم تتوافد مواكب الجمال حاملة معها إلى طنجة منتوجات المناطق الأخرى، وحاملة إلى هذه الأخيرة البضائع العربية والأوروبية المشتراة بالمدينة، وتمرّ هذه القوافل بأمان في أغلب ربوع الفحاص، باستثناء العقبة الحمرا الرهيبة، التي تنهب فيها أمتعة المسافرين العزل»[18].

الجمل وكرامة الولي الصالح سيدي بوصبر

الكرامة هي أمر خارق للعادة، خص بها الله تعالى الأولياء الصالحين، ويقول فيها ابن الزيات صاحب كتاب التشوف: «أعلم أن كرامات الأولياء جائزة عقلاً ومعلومة قطعا. وممن قال بها إمام المتكلمين القاضي أبوبكر بن الطيب فقال: إن المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء»[19]، ونجد أن الإبل لم تغب عن كرامات الأولياء في كتاب المغرب المجهول، حيث حكى موليراس عن حادثة انتقام الولي الصالح سيدي بوصبر من الإهانات التي تعرض لها من الدرويش.

«كان الدرويش مقيماً بضريح سيدي بوصبر منذ حوالي شهر، يتلقى الدروس ويمرح ويتعارك مع رفاقه الطلبة داخل الضريح ويجري ويصرخ غير آبه بأي شيء [...] وفي إحدى الليالي الدافئة للخريف، خرج ليتنسم الهواء وسط شجيرات التين الوحشي العديدة والمحيطة بقبر الولي. وفجأة أصابه الرعب من جراء أمر خارق لم يكن يتوقعه، فعلى بعد عشرين خطوة وراء ظهره، برز جمل ضخم وبفمه بندقية، واندفع باتجاه الدرويش وهو يصرخ بصوت رهيب. ولشدة رعبه، انطلق محمد جارياً كالسهم بين مسالك قافزاً فوق القبور [...] وكان الجمل يطارد الجوال ويصدر أصواتاً خشنة متتالية، تشير على أن غضبه قد بلغ حده الأقصى. وأخيراً بعد أن طاف مئات المرات حول متاهات شجيرات التين الوحشي، وجد محمد بن الطيب نفسه، دون أن يدري كيف، أمام مبنى الضريح الذي دخله بسرعة، مغلقاً الباب وراءه. وقد كان محظوظاً



بفعلـه ذاك. فلو تأخـر دقيقة واحدة، لـكان الحيوان الهائج قـد مزقـه إربـاً. [...] وعند منتصـف الليـل رأى في المنام، سـيدي بوصـبر نفسـه الـذي خاطبـه بالعربيـة الدارجـة قائـلاً: لو كان تعـاود تلعب كما لعبـت في القبة، نرميك إلى الثلـث الخالي»[20].

الناقة وأسطورة سيدي أحمد البجاي

في تلـك الليلـة هوجمـت خيمـة عبـد المومن، وقتل سـيدي أحمـد الـذي صعـدت روحـه مطمئنـة إلى السـماء، بعـد أن ضحـى بهـا في سـبيل الإسـلام والمسـلمين، وفي نفس الوقـت الـذي كان فيـه الأمـير ينـام قريـر العـين، بخيمة معلمـه وفوق حصيرة هذا الرجل الذي سـيصبح من أشـهر صلحـاء الإسـلام الإفريقي.

وبعـد أن انتقـم مـن المتآمريـن حمـل عبـد المومـن[21] بنفسـه جثمان سـيدي أحمد ووضعه فـوق الناقة قائلاً: اتركوهـا تذهب وحدها ولتتوقف أينما شـاءت، وتحركت الناقـة ووراءهـا ضباطه، وبعـد مدة من السـير جثمت بمـكان معين، سـيدفن فيـه جثـمان الولي وسـيقام به ضريحـه. كانـت تلـك هي حكايـة ضريح سـيدي أحمد البجاي[22].

خاتمة:

لقـد حـاول أوجسـت موليـيراس اكتشـاف المغرب وسـبر أغـواره، مـن خـلال الرحالـة القبايـلي محمـد بـن الطيب بشـكل عـام، دون إغفـال أي جانـب مـن جوانبـه، والإبل بدورهـا كانـت حـاضرة في كتابـه المغرب المجهـول، وفي مواضيـع مختلفـة، مـع ملاحظـة أنهـا ذُكـرت خاصة في القبائـل الشرقيـة، التـي هـي جـزء مـن المغـرب الشرقـي الصحـراوي، في حين نـدر ذكرها في القبائـل التي تنتمي إلى جبـال الريـف وجبالة.



الهوامش:

1. أوجست مولييراس، المغرب المجهول، اكتشاف الريف، ترجمة عز الدين الخطابي، ج 1، منشورات تفرازن اء الريف،2007، ص 14.
2. المرجع نفسه، ص 16.
3. المرجع نفسه.
4. المرجع نفسه، ص 14.
5. المرجع نفسه، ص 15.
6. المرجع نفسه، ص 15، 16.
7. المرجع نفسه، ص 14، 15.
8. المرجع نفسه، ص 10.
9. أوجست مولييراس، المغرب المجهول، اكتشاف جبالة، ترجمة عز الدين الخطابي، ج 2، منشورات تفرازن اء الريف، 2007، ص 128.
10. المرجع نفسه، ص 129.
11. المرجع نفسه، ص 130.
12. المرجع نفسه، ص 131.
13. المرجع نفسه، ص 145.
14. المرجع نفسه، ص 201.
15. المرجع نفسه، ص 323.
16. المرجع نفسه، ص 324.
17. المرجع نفسه، ص 475.
18. المرجع نفسه، ص 562.
19. ابـن الزيـات، التشـوف إلى رجـال التصـوف وأخبـار أبي العبـاس السـبتي، تحقيـق أحمـد توفيـق، ط 2، منشـورات كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية – محمـد الخامـس، الربـاط، 1997، ص 54.
20. أوجست مولييراس، ج 1، مرجع سابق، ص 163.
21. هو عبد المومن بن علي الـگومي، من أهم سلاطين الدولة الموحدية، توفي سنة 1163م.
22.- الأسطورة مطولة ولهذا اقتبست الجزء المهم منها، والذي له علاقة بالموضوع. انظر الأسطورة كاملة في نفس المرجع، ص 435.

المصادر والمراجع

• أوجست مولييراس، المغرب المجهول، اكتشاف الريف، ترجمة عز الدين الخطابي، ج 1، منشورات تفرازن اء الريف، 2007.
• أوجست مولييراس، المغرب المجهول، اكتشاف جبالة، ترجمة عز الدين الخطابي، ج 2، منشورات تفرازن اء الريف، 2007.
• ابـن الزيـات، التشـوف إلى رجـال التصـوف وأخبـار أبي العبـاس السـبتي، تحقيـق أحمـد توفيـق، ط 2، منشـورات كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية – محمـد الخامـس، الربـاط، 1997.